

تُرى ما الذي أقلقها إبراهيم يحيى أبو ليلى



أريت مقطع فيديو شدني كثيراً بل أثر فيّ كثيراً حتى أنني أعدت نشره في قنوات التواصل لشدة تأثري به هذا المقطع يظهر فيه امرأة عجوز مسلمة من أمهاتنا من الجنسية التركية قد داهم بيتها سيلٌ عرم ناتج عن فيضان في إحدى المدن ظهرت هذه العجوز المباركة وهي قلقة جداً وهي تبحث بين أعراضها التي غمرتها السيول ودفنت معظم تلك الأعراض، نعم كانت تبحث بقلق شديد عن شيء تميم ضاع منها وهناك جنود شبان من الذين حضروا لينقذوا السكان مما أصابهم في ذلك الفيضان ، فأخذت المرأة تبكي بحرقة حزناً على ضياع ذلك الشيء الثمين والثمين جداً فقال الجنود لقد وجدناه يا خالة فلا تبكي لقد وجدناه ترى ما هو ذلك الشيء الثمين جداً الذي فقدته المرأة وأخذت تبحث عنه بهذا القلق الشديد وكم فرحت عندما قال لها الجنود لقد وجدناه يا خالة وأخذوا يغسلونه وينظفونه مما علق به من طين ، أتدرون ما هو ذلك الشيء الثمين؟! إنه ليس صندوق تحفظ فيه مجوهرات بالآلاف الريالات ولا شيء قديم من التحف القيمة التي ورثته عن أمهاتها واجدادها أبداً والله أبداً إنه شيء أضمن من كل ما يقتنيه المرء من جواهر وذهب ولؤلؤ كان ذلك الشيء الذي اطار عقل تلك المرأة وجعلها تبكي بحرقة وندم وخوف أن لا تجده إنه (مصحفها) نعم إنه القرآن الكريم كتاب الله الذي تعلقت به تلك المرأة حتى كادت ان تفقد عقلها عندما ظنت أنها لن تجده وأنه ذهب مع السيل وكأنني بها تقول في نفسها ليتني رحلت معه أينما رحل ليت السيل قد أخذني معه ولم يفرق بيننا فلقد عشت معه وعاش معي منذ نعومة أظفاري أو بعدما بلغت علاقتنا هذا المبلغ نفترق يا الله كم هذا الأمر قاسي علي ولا أطيق احتماله إنه حبي وعشقي وهيامي نعم كأنني بها والجنود يبحثون لها عن هذا الحبيب وعينيها على أيديهم وفي كل لحظة يقفز قلبها مع كل غرض يخرجونه قبل أن يعثروا عليه قلبها يدق دقات تلهف ولسانها يلهج بالدعاء يارب لا تحرمني منه يارب اتوسل اليك واعدك أنني لن أتركه يغيب عن عيني مرة أخرى يارب أرجوك أرحم ضعفي وشيبيتي ودموعي فلن أطيق البعد عنه لحظة من نهار أو ليل رياه أنت أعلم بالرباط الذي يربطنا معاً إنه كل عمري وحياتي يا أرحم الراحمين يا رب يارب فاستجاب لها خالقها وجبر قلبها وأعثرها على بغيتها فأخذت تدعو للجنود وقالت بالحرف (حين وجد الجنود مصحفي أخذت أدعوا لهم بأن يكفيهم الله شر كل المصائب وأن يحفظهم جميعاً) ورأيت كيف أخذ أحد الجنود يربت علي كتفيها حين رآها تقبل المصحف بتلهف وكأنه حين ربت علي كتفها يستمد البركة من هذه العجوز المباركة ويرجو أن تشمله بركتها التي تعلقت بكتاب الله كل هذا التعلق وكأنني بالجنود قد ناموا تلك الليلة نومة لم يناموها منذ ان عرفوا أنفسهم ناموا نومة هائلة هادئة تتخللها السكينة والطمأنينة والسلام وأخذوا يحدثون كل من يلقونه عن سعادتهم وما منحهم الله من نعمة حين ارشدهم الي ذلك البيت المبارك الذي عاش بالقرآن ومع القرآن وكيف لا وهو كتاب رب العالمين فيه كلامه الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) تنزيل من حكيم حميد (42) .

والآن لنقارن بين حال تلك المرأة وحالنا مع ما بين أيدينا من أجهزة زكية وبين ما بيدي تلك المرأة من كلام الله فحين انقطع عنا بعض قنوات التواصل لساعات قليلة أصبح بعض الناس قلقاً وتنتابه نوعاً من هستيريا تلك القنوات وأنا أجزم أن البعض ربما انتابته نوبة بكاء لأنه لم يستطع أن يتواصل مع بعض من اعتاد التواصل معهم لأن مقارنة بين حال تلك العجوز وبين حالنا للأسف الشديد أسف وأي أسف والبون جد شاسع والكل يعترف بما أقول إن كانت هناك شجاعة على الاعتراف بالحق شيء مؤلم جداً هذه المقارنة شيء مؤلم حين نقارن بين المصحف والأجهزة التي بين أيدينا.

ونما الي خاطري في هذه اللحظة قول أمير الشعراء أحمد شوقي وهو يصف سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه مع القرآن الكريم حين قال عنه :-

أو كاهن عَفَّانَ والقرآنُ في يده
يحنو عليه كما تحنو على القطم
ويجمع الآي ترتيباً وينظّمها عقداً
بجيد الليالي غير منقصم

نعم وكيف لا وهو الذي يقول أيضاً عن هذا الكتاب العظيم :-

جاء النبيون بالآياتِ فانصرت
وجئتنا بحكيم غير مُنصرم

أيأته كلما طال المدى جُدُّ يزيهه جلال العتق والوادم

يكاد في لفظه منه مشرفه يوصيك بالحق، والتقوى، وبالرحم.

نعم هذا هو كتاب الله الذي بين دفتيه كل ما أرادت البشرية من تقدم وحضارة ورقية وسلام بين دفتيه سعادة البشرية قاطبة إن أرادوا النجاة إنه الحياة والعزة والسؤدد والشرف كله وبدونه لا رقي للبشرية ولا تقدم زائف إلا التقدم العادي الفارغ من الروح والتقدم العادي فارغ بلا ريب إن لم تخله الروحانيات ويكون بدون أخلاق، إذا خلت المادة من الروح هذه حالنا وحال البشرية قاطبة إذا هيناً لمن تعلق قلبه بهذا الكتاب وطبقة قراءة وتطبيقاً عملياً في الحياة.

فاللهم نسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجليء أجزاننا وهمومنا وقائدنا إلى جناتك جنات النعيم.. وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا ونبينا وقائدنا وقدوتنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين.

إبراهيم يحيى أبو ليلى